الله كريم ...

قصة بقلم أحمد سويد

كانت شمس حزيران تنشلح على حقول القرية ملتهبة شديدة الوطأة، وكانت فوزية تستند بمرفقها الى النافذة المنخفضة وترنو الى البعيد غائمة الملامح ، شاردة النظرات .

في مثل هذه الايام تزوجت ..

لم يكن موسم الحصاد قد بدأ بعد ، يوم حملوها ذات عشية من عشايا حزيران الى بيتها الجديد .

كانت السنابل قد اوشكت ان تضع مواليدها الذهبية الجميلة ، وكانت الحقول قد بدأت تعطش الى حداء الحصادين ورنين مناجلهم .

وقبل ان ينزلوها عن الفرس ، ناولوها عجينة طرية وطلبوا اليها ان تلطعها على عتبة الدار .

وترددت خوفا على قفازها الابيض ان يتلوث ، الحت النسوة عليها ان تفعل ، وقلن لها : ان العجينة فوق العتبة تجلب الخير والخصب والسعادة .

ولطعتها ، وتعالت الزغاريد ، ولكن العجينة لم تلتصق بل تهافتت على مهل ، فزمت ام العريس شفتيها واربدت ملامحها ، وسرت وشوشات كثيرة ، وهمست عجوز لجارتها بتشاؤم :

ـ يي ، وقعت العجينة .

ولم تدرك يومها مغزى الا تلتصق العجينة بعتبة الدار وانما صارت اليوم تدركه بعد ان حبلت السنابل خمسة مواسم متتالية ، وبقيت هي عاقرا بلا عطاء .

.... وتأوهت فوزية ، وبحركة لا شعورية ورعة مسحت الارض بكفها ، ثم رفعتها الى فمها وقبلت باطنها :

ـ الحمد لله ، الخير يفيض من « كواير » البيت ، وعندنا خمس بقرات حلابة ، وثلاثة عجول ، وحصان ، وفي قننا ثلاثون طير دجاج ولا ينقصنا الا ....

وشعرت بضيق في صدرها ، وبدمعة تغشي بصرها وكادت تجهش بالبكاء لولا ان ترامى اليها صوت من الطريق :

ـ عوافي يام علي .

فتجلدت ، وردت التحية ، بنبرة حاولت ان تجعلها انيسة :

ـ مية عوافي . تفضلي يام توفيق .

ولكن ام توفيق اعتذرت شاكرة ، فهي مستعجلة ، وعليها ان تعد طعام الغداء للاولاد .

وما كادت الجارة تغيب عن العين حتى عاودها الضيق فراحت تهمس لنفسها بمرارة :

ـ هه ياحسرتي ، قال ام علي ؟ من قلة الرجال سموا الديك عنتر . وتحسست صدرها تتفقد شيئا فيه

انه لايزال مكانه . الحجاب الجديد الذي جاءها به حسين زوجها والح عليها ان تعلقه في صدرها ، فلقد كتبه لها ـ كما قال ـ شيخ قدير حبلت على يديه الكثيرات ممن كن مثلها يتشهين صرخة وليد او لثغة طفل في بيوتهن .

ورفضت ان تعلقه في بادىء الامر لانها صارت تميل الى الكفر بقدرة هؤلاء المشايخ لكثرة ماصنعوا لها من احجبة ظلت دون مفعول ، ولكن « حسين » اصر عليها، وعندما قالت له : انها تعتبر المشايخ كلهم دجالين .. عض شفته السفلى بتأثم وصرخ بها :

ـ حرام عليك . استغفري ربك يا مرا .

فخافت ، واستغفرت ربها ثلاث مرات ، ولكنها مع ذلك لم تخفي احتجاجها على تصرفات الاقدار التي تحرمها ، وتعطي زوجة عبدو الطبلوني ولدا كل عام ، رغم ان عبدو المذكور لايني يتأفف ويشكو من ضيق الحال وكثرة العيال .

وأرادت فوزية ان تتخلص من هذه الافكار التي تعذبها ، فنهضت من مكانها ، ونفضت تجاعيد تنورتها بتكاسل ، وسارت الى غرفة المؤونة ، ففرفت كمية من الحبوب ، افرغتها في مريولها ، ثم وقفت على عتبة الدار ، وراحت تنادي دجاجاتها بصوت عال :

ـ تيعا ، تيعا .

... وتطايرت الدجاجات من الحديقة واقبلت ترف باجنحتها على التقاط الحب المنثور ووقفت هي تراقبها بشيء من اللذة :

الديك الابيض يتوسط شلة من الفراخ وهو منتفخ الصدر ، وبين الفينة والفينة يميل لينكت الارض بمنقره الصلب بحثا عن الحب ، حتى اذا وجده تعفف عن التقاطه ، وتركه لفراخه بشيء من التعالي والايثار ، واكتفى من حظه في الوليمة بنفش ذيله والشموخ بعرفه ، والتحرش البريء بغانياته .

اما الديك الاحمر ، فقد كان له ، من همومه على مايبدو ، مايلهيه عن الاهتمام بدجاجاته ، ففضل البقاء على حواشي التجمع ، وراح يتنقل بخطى يخالط زهوها بعض القلق والعصبية ، ولم يخرجه عن عزلته النفسية ووقاره الا وقاحة ديك الجيران ذي الشروال الملون الذي اقتحم الساحة بكل غروره وعنجهيته ، واندس في « الحريم » يفازل هذه وينقر تلك الامر الذي اثار نخوة الديك الاحمر وحفيظته فانقض عليه يقارعه ، حتى اذا تمكن من طرده عاد الى حالته الاولى من الضياع .

وتتبعت فوزية المعركة بين الديكين بكثير من التحيز ، وذهبت الى أكثر من ذلك . تمنت لو يتاح لها ان تمسك بجدائل جارتها فطومة صاحبة الديك الدخيل ، فتشدها بعنف وتجرجرها في الزقاق ، وتلكم بطنها المنتفخ لتفرغ اللؤم الذي يتكور جنينا فيه ، فتنتقم بذلك من لسانها السليط الذي لا يفتأ يروج في القرية ان فوزية الحسوني لا تنجب ، وان بيتها لن يعرف ابدا فرحة الاطفال .

وكزت على اسنانها من الغيظ ، وانحنت فالتقطت حصاة ، وقذفت بها الديك المهزوم فأسرع في هربه وهو يرسل صيحات الذعر والهلع والضغينة .

في هذه اللحظة وصل حسين ممتطيا صهوة كديشه الاغبر ، وما ان دخل الحوش حتى ترجل ، ولك الرسن حول عنق الحيوان المتعب ، وانزل الخرج عن ظهره فسارعت فوزية تساعده على حمله الى البيت وتسأله بصوت كسير كأجفانها عن حالة مزروعاتهم التي كان يتفقدها فلا يجيبها وانما تقرأ في ملامحه اثار انفعال وبقايا غضبة ما زالت تعقد ما بين حاجبيه .

وانتظرت حتى غسل وجهه ويديه ، وجلس يدخن لفافة فدنت منه، ووضعت يدها على كتفه برفق وسألته :

ـ خير ان شاء الله يا حسين .

ـ لا شيء ابدا .

ـ ولو ... ليس من عادتك ان تخفي علي .

فصمت لحظة ، ثم قال كأنه يحدث نفسه :

ـ لقد نجا ابن الكلب . كنت سأخنقه ، ولكنهم ردوني عنه .

ـ ومن تعني يا رجل ؟

ـ الناطور ، الا تعرفين الناطور ؟

وروى لها بعد تردد قصة اشتباكه مع الناطور الذي رافقه في بعض الطريق ، فراح يمد لسانه في خصوصياته وتوقح لدرجة حملت « حسين » على ان يطلب اليه الكف عن الحديث ولكنه تمادى فعلل عدم انجاب الزوجة بنقص في رجولة الزوج .

ولم يستطع حسين صبرا فأخرسه بلكمة اسالت الدم من فمه ، ثم وثب عليه والتحما في عراك شرس ، حتى تدخل بعض المارة ففرقوا بينهما .

وشعرت فوزية كأن يدا خفية تغرز في قلبها سكينا ، وان السكين يغور في اعماقها حتى نصله ، فانفتلت تخفي دموعها عن عيني زوجها ، وتوجهت الى النافذة فجلست امامها جلستها المعتادة ، تستعرض على عجل ، المتاعب التي سببتها لحسين ، طوال سنواتها الخمس العجاف .

وقطع عليها شرودها صوت الحاجة « عيشة » قابلة القرية ، التي كانت تتدحرج بجثتها الضخمة على الطريق :

ـ عوافي يام علي .

ـ مية عوافي يا حجة تفضلي .

ـ شكرا يا بنتي . زوجة عبدو الطبلوني في مخاض وعلي ان أسرع لنجدتها .

وتوارت الحجة تاركة وراءها صدى لهاثها المتعب وكلماتها التي انسدلت على عيني فوزية وقلبها كحجاب كثيف من الدخان الاسود ، واليأس المر ، فانتفضت كالملسوعة وأقبلت على حسين تهزه من كتفه بأعصاب هادئة :

ـ حسين ، لقد آن الاوان لان تطلقني .

ولم يجب حسين ، بل رشقها بنظرة تمور بالعتاب والعذاب ثم ضمها الى صدره بحنان دافق ، وظل يهصرها بذراعيه القويتين ويردد بصوت كأنه الهمس :

ـ ربك كريم يا فوزية . ربك كريم .

احمد سويد

صدر حديثا

تأملات وجودية

بقلم الدكتور

زكريا ابراهيم

- لون جديد لم يعرفه الادب العربي من قبل
- خواطر ويوميات تشتعل بالفكر والحياة وتتناول مشاكل الوجود والموت والعدم والظلام ، وتذكرنا بيوميات كيركجورد وغابرييل مارسيل .
- مذكرات حية تلوح كلمع من النجوم وسط حلكة الجفاف الاكاديمي .
- كتاب هام يعيش قضية « الفكر » وسوف يكون بدء سير في طريق جديد من طرق التعبير بالعربية

الثمن ٢٠٠ ق.ل

منشورات دار الاداب